﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾ [الشعراء: 190 - 191]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

تذْكيرُ المخاطَبين موطِنَ العبرةِ في الكلام المبين

لَمّا ذَكَرَ سُبْحانَهُ ما أَصابَ الأُمَمَ السّابِقَةَ - وآخِرَهُم قَومَ شُعَيْبٍ عليه السلام - مِنْ نُزولِ العَذابِ والهَلاكِ: ناسب أن يُذَكِّرَ أَهْلَ مَكَّةَ خصوصًا وعمومَ المخاطَبين بِأَنَّ ما حَدَثَ لِلْأُمَمِ السّابِقَةِ وهُم أَقْوَى وأَشَدُّ، يُمكِنُ أَنْ يَحْدُثَ لَهُم مَتَى ساروا في طَرِيقِ المُكابَرَةِ والضّلالِ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَآيَةً﴾: (أيي) أَصْلٌ يدلّ على النّظر، يُقال: تأيّا يتأيّا تأيّيًا، أي: تمكَّث، وتأيَّيْتُ بالمكان: إذا تحبَّست به وتثبتُّ[1]، ومنه الآية، وهي العلامة الواضحةُ الجليّة، والدّلالة، وتعني كذلك الأمرَ العجيبَ، والمعجزةَ الخارقةَ للعادة، والموعظةَ البليغةَ؛ فالآية هي النّظرة الثّابتةُ المتأنيّةُ للشّيء، والمقصود في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾: أي: لَعلامةً ودلالةً لكلّ مهتدٍ، وعِظَةً لكلِّ معتبِرٍ.

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

القصص القرآني للاعتبار والاتعاظ

تُبيِّن الآيتان أنّ ما يقصُّه الحقُّ سبحانه في كتابه إنَّما هو للاعتبارِ والاتّعاظ، وأولى النّاس بذلك كُفّارُ قُرَيْشٍ، إِذْ كانَ حالُهُم كَحالِ أَصْحابِ الأَيْكَةِ، فقَدْ كان السّابقون أكثرَ منهم عددًا[2]، وأشدَّ قوةً، فما أغنتْ عنهُم قوَّتُهم ولا كثرَتُهم، وما كانَ لهُم أنْ يُؤمِنوا حيثُ طَبَعَ اللّهُ على قلوبِهم وأعْمى أبْصارَهم.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أيّي)، والعسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 368، وابن السّكّيت، إصلاح المنطق، ص: 217.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 187.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ التَّذييلِ بالآية:

تُختَتَمُ القَصَصُ ببارقِ العِبَر

جاء قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ كالتَّذْييلِ المُسْتَقِلِّ لِلْقِصَّةَ المُبارَكَةِ، عَوْدًا إِلَى ما افْتُتِحَتْ به السّورَةُ مِنَ التَّنْويه بالقُرْآنِ وكَوْنِه الآيَةَ العُظْمَى، بما اقْتَضاهُ قَوْلُهُ: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ [الشُّعَراء: 2]؛ لِتُخْتَتَمَ السّورَةُ بِإِطْنابِ التَّنْويه بالقُرْآنِ كَما ابْتُدِئَتْ بِإِجْمالِ التَّنْويه بِهِ، والتَّنْبيه على أَنَّهُ أَعْظَمُ آيَةٍ اخْتارَها اللهُ أَنْ تَكونَ مُعْجِزَةَ أَفْضَلِ المُرْسَلينَ[1].

فائِدَةُ التَّأْكيدِ بـ﴿إِنَّ﴾ واللّام:

تأكيدُ المعاني يحسُن عند غفلةِ النّاس عنها

جاءَ قولُ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ مُؤَكَّدًا بِإِنَّ واللّامِ لِلدّلالَةِ على تَمامِ العِبْرَةِ والعِظَةِ مِمّا ذُكِرَ في قصّة أصحاب الأَيكة خاصّةً، وفي قَصَصِ الأَنْبياءِ السّابِقَةِ كُلِّها، وأَنَّ مَنْ لَم يَعْتَبِرْ بِتِلْكُمُ الآياتِ يكونُ لاهيًا غافِلًا مُتَنَكِّبًا طَريقَ الهُدَى والرَّشادِ؛ فأكَّدتِ الآيةُ الحثَّ على الاعتبارِ لغفلةِ عمومِ النّاس عنه.

غرضُ تَقْديمِ المُسْنَدِ ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾:

توجيهُ الأفهامِ فيما يجبُ أن يكونَ موطِنَ اهْتِمامٍ

قُدِّمَ في قول الله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ المُسْنَدُ - وهوَ الجارُّ والمَجْرورُ ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾، وهوَ خَبَرُ ﴿إِنَّ﴾ - على المُسْنَدِ إِلَيْه - ﴿لَآيَةً﴾ وهوَ اسمُ ﴿إِنَّ﴾، مُؤَخَّر - للاهْتِمامِ بِشَأْنِ المُقَدَّم، وهوَ ما ذُكِرَ مِنَ القَصَصِ السّابِقَةِ؛ فقَدْ قَصَرَ الآيَةَ والعِبْرَةَ على كَوْنِها في قَصَصِهِم، كَما قالَ تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾ [يوسف: 111]، وهوَ قَصْرٌ حَقيقيٌّ ادّعائيٌّ، إِذْ لَيْسَتِ العِبْرَةُ مَقْصورَةً على قَصَصِ الأُمَمِ السّابِقَةِ، بَلْ تَوجَدُ فيها وفي غَيْرِها، كالمَوْتِ، والمَرَضِ، والذُّلِّ، والفَقْرِ؛ لَكِنَّهُ قَصَرَها عليْها لِيُؤَكِّدَ على أَهَمِّيَّتِها في الاعْتِبارِ.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 19/ 188.

بلاغةُ استعمالِ حرفِ الظَّرفيّة ﴿فِي﴾:

تنزيلُ المعنويّات منزلةَ الماديّات لتشخيصِها

الظَّرْفيَّةُ في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ ظَرْفيَّةٌ مَجازيَّةٌ، حَيْثُ إنَّ حرفَ الظّرفيّة ﴿فِي﴾ دخل على اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾، والمُشارُ إلَيْه المَظْروفُ مَعْنَويٌّ، وهوَ قَصَصُ الأُمَمِ السّابِقَةِ؛ على إرادةِ تَشْبيهِه بالمادّيِّ المَحْسوسِ المُشارِ إليه، وذلك لتصوير المعنويّات وتشخيصها لشدَّة وضوحِها، وحسن بيانِها، بحيث لا يتجاوزُها العاقلُ إلّا ويعتبرُ بها؛ وهي بمثابة بئرٍ عميقٍ فيه منَ الكنوز ما يدعو الحريصَ على استخراجِها واستنباطِها.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِاسْمِ الإشارَةِ لِلْبَعيدِ ﴿ذَٰلِكَ﴾:

جاء التَّعبيرُ باسم الإشارَة ﴿ذَٰلِكَ﴾ لِلْبَعيدِ في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾، لتشخيص تِلْكَ القَصَصِ؛ فهي بمثابةِ الطّود الشّامخ، لا تخفى على ذي نظرٍ، كما أنَّها بعيدةٌ في الزّمن على الحقيقة.

معنى لام ﴿لَآيَةً﴾ ودلالتُها:

الابتلاء في الدنيا من علامات الدعوة إلى الإيمان

اللّام الدّاخلةُ على لفظِ الآية في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ لامُ التّوكيد، حيث دخلت على اسم ﴿إِنَّ﴾ لوجود فاصلٍ بينهما[1]؛ ففيه تنويهٌ بهذه الآية اليقينيَّة التي يجدر الاعتبارُ بها.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِلَفْظِ الآيَة:

الدّلالةُ على العِظَةِ والحُجَّةِ والاعْتِبارِ

لَفْظُ الآيَةِ في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ يَدُلُّ على العِظَةِ والحُجَّةِ والاعْتِبارِ، وأَنَّ ما حَدَثَ لَهُم عَلامَةٌ فارِقَةٌ في تاريخِ الزَّمَنِ، وأمارَةٌ على إطلاقِ قُدْرَةِ المَلِكِ جَلّ في عُلاهُ، حَيْثُ لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ في الأَرْضِ ولا في السَّماءِ؛ فالآية هي الشّيء الثّابت الجليّ، فهي واضحةٌ في مقاصدها، ثابتةٌ في معانيها، وهي أمرٌ بدهيٌّ ظاهرٌ للعقولِ.

(1) ينظر: ابن جنّي، سِرّ صناعة الإعراب: 2/ 54، وابن الخبّاز، توجيه اللّمع، ص: 152، وبهجت عبد الواحد، الإعراب المفصّل لكتاب الله المرتّل: 8/ 165.

غرضُ تَنْكيرِ لفظِ الآية:

تعظيمُ الآية وتفخيمُها باعتبارِ أثرِها ومضمونِها

نُكِّرَ المُسْنَدُ إليْه لفظُ الآيَةَ في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ لِلتَّعْظيم والتَّفْخيم؛ فهي آيَةٌ لَيْسَتْ كَسائِرِ الآياتِ، ومُعْجِزَةٌ لَيْسَتْ كَباقي المُعْجِزاتِ، فوَراءَ التَّنْكيرِ تَضْخيمٌ لِشَأْنَ الآيَةِ وتَهْويلٌ لِقَدرِها؛ فهي آيَةٌ لا توصَفُ، وقَدْ عايَنَها النّاسُ وشاعَ أَمرُها فيهم[1].

سببُ إفرادِ لفظِ الآية:

إرادةُ الجِنسِ أو لتَعدُّدِ القَصَصِ فيكونُ في كلِّ واحدَةٍ آيةٌ

أُفرِد لفظُ الآيَة في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ لإرادَةِ الجِنْس، أَوْ لأَنَّ في المَذْكورِ عِدَّةَ أَشْياءَ، في كُلٍّ واحِدٍ منها آيَةٌ، فيكونُ على التَّوْزيع[2]، وفي الإفرادِ دلالةٌ على قوّتِها رغم انفرادِها، وأنّها تُغني عمّا سِواها، وأنَّ عِمادَ العِبْرَةِ في تلكَ الآيةِ، وهي هلاكُ الأمم السّابقة.

نكتةُ عدمِ تقْييدِ لفظِ الآيةِ:

أُطلقَ لفْظُ الآيةِ في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾، ولم تُقيَّد كأنْ يُقال: (إنَّ في ذلك لآيةً لكم): لإفادةِ العموم، للإشعارِ بأنَّها لكلِّ من اعْتَبرَ بها؛ وهذا يعْكِسُ عظَمَتَها وفخامَتَها.

نوعُ واوِ ﴿وَمَا﴾ ودلالتُها:

الــواو تحتملُ الحالَ والعطفَ

الواو في قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ تحتملُ أنْ تكونَ واوَ الحالِ، أي: والحالُ أنَّ أكْثرَهُم لا يعتبرونَ بتلكَ الآيةِ، مع قوّتِها وفخامَتِها، وتحتمل أنْ تكونَ عاطفةً للجمعِ بينَ حالين: حالِ الإثباتِ، وهي إثباتُ الآيةِ في قَصَصِهم والعِبْرةِ، وحالِ النّفي، وهي نفيُ اعتبارِ أكثرِهم أوِ اسْتِبصارِهم وإيمانِهم؛ وكلا الوجهين يحتملهُ المعنى.

دلالةُ (ما) النّافيةِ:

النّفيُ محمولٌ على قومِ شعيبٍ تصريحًا وكفّارِ قريش تلويحًا

جاءت (ما) نافيةً في قول الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾، لتنفيَ الإيمانَ عن أكثرِ المُتحدَّثِ عنهم، والكلامُ عن قوم شعيبٍ، كما

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 317.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 102.

يُفهم منَ السّياق القريب، أو عن أهل مكّة، إذ كان أكثرُهم حينَ نزول الآيات مشركًا، كما يُفهمُ منَ السّياق العامّ للسّورة، وكما جاء في أوّلها عن إعراضهم وتكذيبِهم؛ وحملُها على قومِ شُعَيبٍ تصريحًا، وعلى كفّارِ قُرَيشٍ تلويحًا أولى بِسَعَة دلالةِ الآيات القرآنيَّة.

دلالةُ ذكرِ فعل الكَونِ ﴿كَانَ﴾:

دخلت (ما) النّافيةُ على فعلِ الكَونِ في قول الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ للدّلالة على أسبَقيّةِ علمِ الله بعدمِ إيمانهم ماضيًا وحالًا ومستقبلًا، فهو نفيٌ قطعيٌ يبثُّ اليأسَ والقنوطَ في قلوبهم، ويقطعُ بعدمِ إيمانهم.

علمُ الله سابقٌ بِعَدَمِ إيمانهم

دلالةُ التّعبيرِ باسمِ التّفضيلِ:

اسمُ التّفضيلِ (أكثر) في قول الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ دالٌّ على أنَّ الأغلبيّةَ لم تُؤمن، وأنَّ أكثرَ النّاسِ لا يرغبونَ بطريقِ الهُدى، ويُفضِّلونَ طريقَ الضَّلالِ، كما قال تعالى ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسف، 103]؛ والمعنى: ما تَنَبَّهَ عليها أكثرُهُم، ولا آمنَ باللهِ[1]، إخبارًا عَنْهُم بِأَنَّهُم مُصرّونَ على الكُفرِ بَعْدَ هَذا الدَّليلِ الواضِحِ[2]، واستعمالُ اسم التّفضيل هنا دالٌّ في المقابلِ على أنَّ هناك من آمن واختار طريقَ الهدايةِ؛ وهذا من دقّة القرآن، ومراعاةِ قيَم الهدايةِ والدّعوة.

إصرارُ معظمِ النّاسِ على الضّلالِ مع وضوحِ جِهةِ الاعتبارِ

بلاغةُ التّذييلِ:

قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ جملةٌ قطعيَّةٌ يقينيَّةٌ بانعدامِ الأملِ في إيمانِ أكثرهم، رغم جهود شُعَيبٍ عليه السلام في دعوة قومه وهدايتهم، وهكذا شأنُ كلِّ داعيةٍ، عليه أن يبذُلَ قُصارى جُهده في تبليغِ دعوةِ ربِّهِ، ولا يربطُها ببُلوغِ الغايَةِ وتحقيقِ النّتيجةِ، فلْيعلمَ

الأملُ منقطعٌ في إيمانِ الأكثرِ، وما على الرَّسولِ إلّا البلاغُ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 317.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 102.

أنَّ أكثرَ النّاسِ لا يَتَّبِعونَ الحقَّ، ولا يقبلونَ طريقَهُ، بل يتمسّكونَ بطريقِ الباطلِ والعصيانِ.

نُكتةُ استعمالِ مُفردة الإيمان:

إذا غاب الإيمانُ غاب معه الخيرُ كلُّه

نُفي الإيمانُ دونَ غيْرِه منَ الطّاعةِ والاستِقامَةِ في قولِه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾؛ لشمولِ الإيمانِ لِما سواهُ، ولأنَّ الإيمانَ هو بَذرةُ الهُدى في قلبِ المسلمِ، فمتى وُجِدتْ أثمرَتْ ما سواها، ومتى فُقدتْ أجْدَبَ ما حولها.

دلالةُ التَّعبيرِ باسم الفاعل ﴿مُّؤۡمِنِينَ﴾:

عدلُ اللهِ بالغٌ كلَّ كافر

آثر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بنَفي اسمِ الفاعلِ منَ الإيمان في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، دونَ الفعلِ، للدّلالةِ على ثبوتِ النّفي ودوامِه، وأنَّ اللّه سبحانه وتعالى يُحاسبُهم ويحكمُ عليهم باعتبار ما استقرَّ من حالهم.

بلاغةُ العطفِ بين الجمل:

تتوافقُ الجملُ في تعيينِ المقاصد وتبليغ المعاني

عُطف قولُ اللّه تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ على الآيةِ السّابقةِ؛ والوصلُ بين الآيتين بالواو للتّوسُّط بين الكمالين، حيث إنَّ كلتيهما خبريَّةٌ مؤكَّدةٌ بأكثرَ من مؤكِّد، وبينهما مناسبةٌ في المعنى، فالآيتان متوافقتان في توجيه رسالةٍ قويّةٍ للأمم المارقة، وهي أنَّ اللّه متى أراد إبادتَهم فعل، لكنّ رحمتَه تأبى أن يأخُذَهم بأوّل ظُلمهم، فيُمهِلهم ولا يُهمِلهم.

فائدةُ تأكيد الجملة وغرضُه:

في مضامين التّأكيد تعريضٌ وتنبيه

جاء في قول اللّه تعالى ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أكثرُ من مؤكِّد، وهي: (إنّ)، واللّام، وضمير الفصل، واسميّة الجملة؛ وهي ليست راجعةً لإنكار المخاطَب أو غيره، وإنّما لقوّة الخبر وأهمّيَّته، وخطورةِ التّغافل عنه، وضرورةِ الانتباه لمضمونه، وفي ذلك تعريضٌ صريح لأهل مكّة إن ساروا سَيرَهم في الانحراف والمكابرة والعناد.

فائدةُ إضافة لفظِ الرّبّ إلى الضّمير:

تشريفُ الرُّسُلِ إكـرامُ العـزيـزِ وتوقير الرحيم

أُضيف لفظُ الرّبّ إلى ضمير الخطاب الموجَّه إلى رسول الله ﷺ في قول الله تعالى ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ لتسليته ﷺ وتشريفه، وليدلّ على بسط المَلَكوت، وسَعة الرَّحَموت، فهو المُحسِن إليك بكلّ ما يُعلي شأنَك ويوَضِّحُ برهانك.

بلاغةُ القصر بضمير الفصل (هو):

بـيـانُ قـدرتـه عـلى الانـتـقـام متى شاء، لكنّ رحـمـتـه تـمنـعُ ذلك

قصرتِ الآيةُ الكريمة صفتَي العزّة والرّحمة على الله ﷻ في قول الله تعالى ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ قصرًا حقيقيًّا تحقيقيًّا، حيث إنَّ كلَّ رحيمٍ أو عزيزٍ إنَّما يستمدُّ عزَّته ورحمته منَ الله تعالى؛ وهو قصرُ صفة العزّة والرّحمة على الموصوف وهو الله تعالى.

معنى تعريفِ لفظَي ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

كـمـالُ الـعـزّة ترهيبٌ شديد، وكمالُ الرّحمة ترغيبٌ حميد

أفاد تعريفُ الاسمين الجليلين ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ كمالَ العزّة والرحمة، أي: الكامل في عزّته ورحمته؛ فلا شريكَ له في صفاته، ولا مثيلَ ولا مشابهَ، وقد تجلّى الاسمان الجليلان في سورة الشّعراء في مواضعَ كثيرةٍ، فإنَّ إهلاكَ الظَّالمين وعقوبتَهم الرّادعةَ من دلائل عزَّته تعالى، فهو الغالب الّذي لا يمتنع عليه شيءٌ، العزيزُ الذي يعاملُ العُصاةَ بما يستحقّونه من شديد عذابه.

سرُّ اقترانِ صفتَي ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

مناسبةُ العـزّة لمقام الانتقام، ومـنـاسـبـةُ الـرّحـمـة لمقام الإمهال

جَمعتِ الآيةُ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ بين صفتَي العزّة والرّحمة، لمناسبة العزّة لمقام الانتقام والهلاك، ومناسبةِ الرحمة لمقامِ الإمهال قبل العذاب؛ فوصْفُ الله بالعِزَّةِ لبيانِ تَمامِ القُدْرَةِ على تعجيلِ العقاب، ووصفُه بالرَّحْمَةِ لبيانِ أَنَّ في إمهالِهم رَحْمَةً بهم لَعَلَّهُم يَشْكُرونَ، وفي وصْفِ الرَّحْمَةِ إيماءٌ إِلَى أَنَّهُ يَرْحَمُ رُسُلَهُ بتأْييدِه ونَصْرِه[1]، ومن عزّته تعالى أنّه إن رحِم لا يمنعُه مانعٌ، ولا يغلبُه غالبٌ؛

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 19/ 102.

فهو الغالب، وهو تعالى الرّحيمُ بأوليائه، يلطف بهم، ويعصمُهم في قلب المحن والشّدائد وينجّيهم، وتتجلّى رحمته في إمهاله للعصاة، لعلّهم يرجعون، وقبولِه لهم إن رجعوا وتوبتِهم إن تابوا.

نكتةُ تقديم العزيز على الرّحيم:

مناسبةُ اسم العزيز لذكر الأمم الهالكة، ومناسبةُ الرّحيم لذكر أمّة الإسلام

قُدّم لفظُ العزيز في قول الله تعالى ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾، وهو بمعنى الغالب الذي لا يُقهَر، القويّ المتين المنتقِم: لقرب لفظِه من ذكرِ الأمم البائدة، التي أهلكها الله انتقامًا لأنبيائه، وأُخّر لفظُ الرّحيم؛ لقرب لفظِه من ذكرِ قريشٍ، قوم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، الذين أمهلهم ورحِمهم إكرامًا لرسول الله.

وفي جميع المواضع التي اقترن فيها الاسمان الجليلان ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ تقدّمت فيها صفةُ العزّة لتناسُبِها مع سياقها من حيثُ إهلاكُ الله للعصاة؛ فهو العزيز الغالبُ القاهر القويّ، الّذي لا يمتنع عليه شيءٌ، ثمّ إنّ عزّته تتمثّلُ في قدرته جلّ شأنُه على تنفيذ إرادته، وإيصالِ رحَماته؛ فهو الرّحيم، وبعزّته يملك الرّحمة، ويقدر على إسباغها على من شاء منَ العباد، متى شاء في الزّمان، ثمّ هو الرّحيم بإهلاك أعدائه، نجّى بلطفه أولياءَه، وبرحمته أمهل العصاةَ، وبرحمته أنذرهم، وبرحمته تاب على من تاب منهم، وبرحمته بلّغ التّائبين منازلَ الأبرار؛ فهو العزيز، وهو الرّحيم.

بلاغةُ تَكرار جملة التّذييل في السّورة:

تقريرُ المعاني في الأنفُسِ وترسيخُها في النُّفوسِ

جاء تَكرارُ قولِه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ في هذه القَصصِ السّبعِ؛ لأنَّ في التّكريرِ تقريرًا للمعاني في الأنْفُسِ، وترسيخًا لها في الصُّدورِ؛ مع تعليقِ كلِّ واحدةٍ بعلّةٍ، وفنُّ التّكريرِ فنٌّ دقيقُ المأخذِ، عظيمُ التّأثيرِ، يقرعُ الآذانَ الصّمّاءَ فيُسمعُها الحقَّ، ويَصِلُ القلوبَ الغُلفَ فيُزيلُ

رانَها، ويفتحُ مغاليقَها، ويَجلو صدَأها[1]؛ ففيه فوائدُ جمَّةٌ لمن أرادَ أنْ يعتبرَ، وعظةٌ كُبرى لِمنْ فتحَ قلبَهُ للإيمانِ، وحَرَص على الانتفاعِ بآثارِ منْ سبقوه.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الآيةُ والعلامةُ:

الآيةُ علامةٌ راسخةٌ على مرّ الزّمان، ظاهرةٌ للمعتبِر منَ الإنس والجانّ

الآية هي العلامةُ الواضحة الجليّة، وتعني كذلك الأمرَ العجيبَ، والمعجزةَ الخارقة للعادة؛ وآياتُ الله في الأنفُس والآفاق دالَّةٌ على كمال القدرة وجمالِ الصنعة، ولم ترِدِ العلامةُ في القرآن إلّا في قوله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ [النحل: 16]، أي الجبال والأنهار، كما في الآية السابقة لها: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥﴾ [النحل: 15]، أي: معالمَ يهتدي بها المسافرون برًّا وبحرًا وجوًّا.

والعلاماتُ التي يُستدلُّ بها على الطرُق لا بدّ أن تكون واضحةً ثابتةً مستقرَّةً، كالجبال والأنهار، فلا يصلح أن تكون متنَقِّلةً أو متغيِّرَةً، وأمّا الآياتُ، فهي مع ذلك أوضحُ منَ العلامات، وأكثرُ ظهورًا ورسوخًا، إذِ "الآيةُ هي العلامة الثّابتة، من قولك: تأيَّيْتُ بالمكان، إذا تحبّست به وتثبتُّ"[2]، فهي منَ الإقامة والقرار، لذا، فاستعمالُ لفظِ الآية في مثلِ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ﴾ أبلغُ من استعمال لفظ العلامة - أي: لعلامةً واضحةً جليَّةً باقيةً لكلِّ معتبِر - وأوقعُ للدّلالَةِ على ثُبوتِ تأثيرها فيمنْ رآها أو سمِعها أو وصلتْ إليه.

(1) درويش، إعراب القرآن: 7/ 130، 135.

(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 368، وابن السّكّيت، إصلاح المنطق، ص: 217.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 39 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-84-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 39 : المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-84-6
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»